نحب البيئة و نحافظ عليها

(١٢)

ثقافتنا البيئية

الدكتور

محمد عمر الحاجي

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

سلامَتُنا مُرْتبطةٌ بِسلامةِ البيْئةِ!!

دخلتِ الآنسةُ (أحلامُ) الصَّفَّ الأوَّلَ الثَّانويَّ وبعدَ أنْ ألقتْ على الطُّلابِ السَّلامَ ، توجَّهتْ إلى اللوحِ الأَسْودِ ، وأخذتْ قَلَماً وكَتَبَتْ عُنْواناً عَرِيضاً: نحنُ بحاجةٍ إلى ثَقافةٍ بِيْئيةٍ!!

ثمَّ التفتتْ نَحْوَ طُلابِها ، ورَاحَتْ تَشْرحُ لهم ماذا يَعْنِي ذلكم العُنْوانُ العَرِيضُ.

وكان مِمَّا قالَتْهُ: أولاً أنا سَعِيدةٌ بكلِّ سُؤالٍ يَدُورُ حولَ هذه الأُمورِ ، وأُحِبُّ أن نَشْتَرِكَ جَمِيعاً في تَوْضِيحِ الفِكْرةِ ، ولا أُحبُّ طَرِيقةَ الإلقاءِ والسَّرْدِ فقط ، فمَنْ كان عِندَهُ أيُّ اقْتِراحٍ ، أو

مُداخَلةٍ ، أو تَعْليقٍ ، أو اعْتِراضٍ ، فَلْيَرْفَعْ يَدَهُ.. ونحنُ سَنَسْتَمِعُ إلى أيِّ رأي ، وذلك من مُنْطَلقِ أن لا أحدَ يَمْلكُ الحَقِيقةَ مُطْلَقاً ، إنَّما هذا لديه (٤٠٪) من الحَقِيقة ، والثَّاني لديه (٢٥٪) ، والثالث (١٠٪) وهكذا.

فإذا طُرِحَتْ هذه الأَجْزاءُ على بِساطِ البَحْثِ والمُناقَشَةِ ، خَرَجْنا بِنَتيجةٍ رائِعةٍ ، وهي أنَّنا أَصْبَحْنا نَمْلِكُ الجُزْءَ الأَكْبرَ من الحَقِيْقةِ.

ويا أَحْبابَنَا الكِرامَ! في هذه الآونةِ يَشْغَلُ بالَ العُلماءِ والمُثَقَّفِين ووُلاةِ الأَمْر في العالَمِ كُلِّه مَشاكِلُ التَّلوُّثِ وقَضَايا البيئةِ ، لماذا؟

لأنَّ الخَطَرَ لا يَخُصُّ فِئةً مُعَيَّنةً من البَشَرِ ، بل إنَّه يعمُّ سُكَّانَ الكُرةِ الأَرْضِيَّةِ ، ويَتَعدَّى إلى الفَضَاءِ ، لذلك فالمَسْألةُ ليستْ سَهْلةً أبداً.

مثالُ ذلك: إذا حَدَثَ وأَفْلَتَ قَمَرٌ صِناعِيٌّ من

زِمامِ أَجْهزةِ التَّحكُّمِ الأَرْضي ، فماذا سَيَحْدُثُ؟

لا بُدَّ وأنْ يَفْقدَ حَرَكَتَهُ المُنْتَظمةَ ومِنْ ثمَّ سَيَتَهاوى نَحْو الأرضِ مُتَأثِّراً بِجاذِبيَّةِ الأَرْضِ ، وبالتَّالي سَيَكُونُ الاحْتِراقُ ، وعندئذٍ لا يَسْتَطِيعُ أحدٌ أن يَتَحكَّم في مكانِ سُقُوطِه!!

إضافةً إلى ذلكَ ، هُنالكَ الخَطَرُ المُشِعُّ النَّاتِجُ عن اسْتِخْدامِ المَوادِّ المُشِعَّةِ في تَشْغِيلِ بعضِ الأَقْمارِ الصِّناعيَّةِ ، فإذا سَقَطَ واحدٌ منها على الأرضِ ، فَمعْنَى ذلك إصابةُ عَدَدٍ كبيرٍ من سُكَّانِ المنطقةِ بالسَّرطانِ ، فَضْلاً عن بقاءِ تلوُّثِ المنطقةِ بالإشْعاعاتِ المُمِيتةِ لعدَّةِ سَنَواتٍ!!

بينَ البيْئةِ والإنْسانِ

وأحبَّ (إحسان) أن يُشارِكَ في الحَدِيثِ ، فَرَفَعَ يَدَهُ واسْتَأْذَنَ ، ثُمَّ قالَ: خَلَقَ اللهُ تعالى

الإنسانَ ، وخَلَقَ ما حَوْلَه من بيئةٍ ، وضِمْنَ نِظامٍ مَضْبوطٍ ودَقِيقٍ ، وشاء المَوْلى سُبْحانَهُ في عُلاهُ أن تكونَ الأرزاقُ تناسِبُ دائماً عَدَدَ البَشَرِ ، بل وكلّ المَخْلُوقاتِ ، مِصْداقُ ذلك قَوْلهُ تعالى:

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وقولُه أيضاً:

﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾

[فصلت: ٩ ـ ١٠].

وبالتَّالي فالبيئةُ لِلْجَمِيعِ ، وليس الإنْسانُ إلا وَصِيّاً عليها لا مالِكَ لها ، وهذا ما جاءَ في القُرآنِ الكريمِ ، قال اللهُ تعالى وهو يَرْسُمُ طَرِيقةَ التَّعامُلِ مع البيْئةِ:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

وإلا:

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾

[النحل: ١١٢].

ولذلك سَيُحاسِبُ اللهُ كُلَّ إنسانٍ يَعْتَدِي على البيئةِ ، وبالمُقابِلِ سَتَكُونُ الحُسْنى ، لِكُلِّ مَنْ حافَظَ عليها ، وذلك لأنَّ هذا الأمرَ يُعْتَبَرُ جُزْءاً من العَقِيدةِ ، كما قالَ الرَّسُولُ ﷺ: «الطَّهورُ شَطْرُ الإيْمانِ».

ومِمَّا يُؤْسَفُ له أنَّ الإنسانَ في تَأْثِيرِه على البيئةِ كان عُدْوانيّاً ، ومِنْ ذلك جَعْلُه المَوَازِين

السَّائِدة بين شَتَّى الأَحْياءِ على الأَرْضِ تَخْتَلُّ عِدَّةَ مَرَّاتٍ!

كذلك كان نَتِيجةُ تَأْثِيرِه على البيئةِ انْقِراضَ عَدَدٍ من الحَيواناتِ والنَّباتاتِ!

ويَدْخُلُ تحتَ ذلك ما أَحْدَثَهُ من تلوُّثٍ مُسَمِّمٍ ، خاصَّةً ما يتعلَّق بتلوُّثِ التُّربةِ والهَواء والمِياهِ والبحارِ والمُحِيطاتِ..!

فهلْ نَتَعاوَنُ جَمِيعاً في بَيانِ مَدَى تَأْثِيرِ الإِنْسانِ في البيئةِ ، ومَدَى تَأْثِيرِها فيه؟!

شيْئاً عن التَّربيةِ البيْئيَّةِ

وقالتِ الآنسةُ (أحلام):

ولِما لهذه العَلاقةِ الحَمِيمةِ بين البيئةِ والإِنْسانِ من أَهَمِّيَّةٍ ، كان لا بُدَّ من إِطْلالةٍ سَرِيعةٍ على بَعْضِ الأُمورِ التي تَتَعلَّقُ بالتَّربيةِ البيْئيةِ ،

وذلك بِهَدفِ تَكْوينِ أرضيَّةٍ ثَقافِيَّةٍ لدينا ، تَخْتَصُّ بهذه القَضَايا المُهِمَّةِ..

لذلك فَمَنْ يَسْتَطِيعُ تَعْريفَ البيئةِ؟

ورَفَعَ (أنورُ) يَدَه وقالَ: لقد قَرأتُ مُنذُ أيَّامٍ شَيْئاً عن التَّربيةِ البيْئيَّةِ ، وأَذْكُرُ أنَّ إحْدى المُنَظَّماتِ وَضَعَتْ تَعْريفاً جامِعاً لها ، وهو:

إنَّها عَمَليةُ إعادةِ تَوْجِيهٍ ورَبْطٍ لمختلفِ فُروعِ المَعْرفةِ والخبراتِ التَّربويَّةِ ، بما يُيَسِّرُ الإدْراكَ المُتَكامِلَ للمُشْكِلاتِ ، ويُتِيحُ القِيامَ بأَعْمالٍ عَقْلانيَّةٍ للمُشاركةِ في مَسْؤُوليةِ تَجَنُّبِ المُشْكِلاتِ البيْئيةِ ، والارْتِقاء بِنَوْعِيَّةِ البيئةِ..

واتَّجهَتِ الآنسةُ نحو الطُّلابِ ، وقدْ بدَا على وَجْهِها السُّرورُ الكَبِيرُ ، وقالتْ: فَلْنُصَفِّقْ للطالبِ الذَّكيِّ (أنور)..

وبعدَ قَلِيلٍ قالت الآنِسةُ: وأَهَمُّ المبادئ

والتَّوجِيْهاتِ للتَّربيةِ البيْئيةِ ، وهي:

١ - أنْ تَبْـدَأَ التَّـربيـةُ البيْئيـةُ قبـلَ السِّـنِّ المَدْرسيَّةِ ، حيثُ نُرَبِّي الطِّفْلَ على عَدَم كَسْر الشَّجَرةِ الصَّغِيرةِ ، ونَزْرعُ في نَفْسِه كُلَّ ما له علاقةٌ بالنَّظافةِ العامَّةِ ، ونُغَذِّيه على حُبِّ كُلِّ ما له عَلاقـةٌ بالبيئةِ ، حتَّى تتكوَّنَ لديه قَناعاتٌ تامة أنَّ البيئةَ هي جُزْءٌ منا ، ونحنُ جُزءٌ منها ، فَعَلَيْنا أنْ نُحافِظَ عليها كَمَا نُحافِظُ على أَنْفُسِنا وأَهْلِيْنا...

ثُمَّ أنْ تَنْتَقِلَ مع التَّربيةِ البيْئيةِ إلى المَراحِلِ الدِّراسيَّة.. ابتدائي وإعدادي وثانوي.. بحيثُ يُقَرَّرُ على الطَّالبِ مادةُ التَّربيةِ البيئيةِ ، وكُلُّ مَرْحلةٍ حسبَ ما يُناسِبُ عُمُرَه ، والأَفْضَلُ مِنْ ذلك أن نَقُومَ بدوراتٍ تَدْريبيةٍ عَمَليَّةٍ ، فَنَصْطَحِب التَّلاميذَ إلى الحَدائِقِ والشَّوارعِ.. نُدَرِّبهُم على

غَرْسِ الأَشْجارِ وتَنْظِيفِها ، وطُرُقِ المُحافَظَةِ عليها ، ولا بأسَ بأنْ نَسْتَغِلَّ كُلَّ المُعَسْكراتِ لذلك العَمَلِ النَّبِيلِ.

ورَفَعَ (أيهمُ) يَدَهُ وقال: ولا نَنْسَىٰ مَسْألةَ بَرَامِجِ الأَطْفالِ التي تَتَحدَّثُ بأُسْلُوبٍ مَدْرُوسٍ يُناسِبُ مَرْحلةَ الطِّفْلِ.. والتي تُرْشِدُ الأَطْفالَ ، وتُوجِّهُهُم إلى المُحَافَظةِ على البيْئةِ.. ، وكذلك عَقْد نَدَواتٍ إذاعِيةٍ وتِلْفزيونيَّةٍ تَدُورُ حولَ قَضَايا البيْئةِ..

٢ ـ التَّعاونُ والتَّكاتُفُ في سَبِيلِ نَشْرِ التَّوعيةِ البيْئيَّةِ بين النَّاسِ وكلٌّ حَسْبَ ما يَمْلِكُ ، فالغَنِيُّ عليه أن يُساهِمَ في الدِّعاياتِ ، أو في بَعْضِ المَشَارِيعِ التي تَهْدِفُ للمُحافَظةِ على البيْئةِ ، أو إلى مُكافَحَةِ الآفاتِ التي تُلاحِقُ البيئةَ ، والمُدرِّسُ عليه أن يُوجِّهَ طُلابَهُ إلى ذلكَ ، والكاتِبُ عليه أنْ

يُوجِّهَ قَلَمَهُ لِكتابةِ شَيْءٍ عن أُمورِ البيْئةِ، والرَّسَّامُ عليه أن يَرْسُمَ الرُّسُومَ التي تَتَعلَّقُ بمسائِلِ البيئةِ.. وهَكَذا.

قال (أمجدُ): إذاً فنحنُ بِحاجَةٍ إلى كُلِّ المَهَاراتِ والاخْتِصاصاتِ في سَبِيلِ نَشْرِ الوَعْي البيْئيِّ، وإتاحَةِ الفُرصِ التَّعْلِيميَّةِ للجَمِيعِ لاكْتِسابِ خبراتٍ مُتَنوِّعةٍ في هَذا المَجَالِ، وإكْسابِ الأَفْرادِ والجَماعاتِ مَجْموعةً مِنَ الاتِّجاهَاتِ والقِيَمِ ومَشَاعِرِ الاهْتِمامِ بالبيئةِ، لذلك فَيَدُ اللهِ مع الجَماعةِ...

حلُّ مشاكِل البيْئةِ
عن طَرِيقِ الثَّقافةِ البيْئيَّةِ!!

وقالتِ الآنسةُ (أحلام):

لذلك إذا كَوَّنَ كلُّ فَرْدٍ من المُجْتَمعِ أَرْضِيَّةً

ثَقافِيَّةً عن البيئةِ ، وأُخْضِعَ كلُّ واحدٍ من المُجْتَمعِ للتَّربيةِ البيْئيةِ ، فمعنى ذلك أنَّ المُجْتَمعَ اسْتَطاعَ أن يقفَ في وَجْهِ التَّلوُّثِ والمشَاكِلِ البيْئيةِ ، وإلا!!

والبِدايةُ للثَّقافةِ البيْئيةِ أن نَتَعلَّمَ كيفَ نُفَكِّرُ في هذه القَضَايا ، ثم أنْ نَرْسُمَ المَحَاوِرَ والطُّرقَ الصَّحِيحةَ لِدراسةِ هذه القضايا ، ثم أنْ نَنْفَتِحَ على كُلِّ الأَفْكارِ ، فنستمعُ ونَقْرأُ ونُحاوِرُ ، ثمَّ نُصَفِّي ذلك كُلَّه ونُغَرْبِلُه ، ثم نُلْقي كُلَّ ماهو غَثٌّ ، ونأخُذُ مايَنْفَعُ فقط ، ثم نَتَبَنَّى ذلك قَراراً وتَنْفِيذاً.

إذاً: لا بُدَّ من إيجادِ الوِفاقِ والانْسِجامِ مع الطَّبيعةِ ، واعْتِبارِ الإنسانِ الطَّبيعةَ أُمّاً ، فكما أنَّ الأمَّ تُضَحِّي بكلِّ شيء لِتُربِّي وَلَدَها الصَّغِيرَ ، فعليه إذا كَبُرَ أن يَرُدَّ لها ذلك:

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فَيَرْعَاها في كِبرها ، ويكونُ عَوْناً لها ، ويَصُونُها ، ويَحْفَظُها..

كذلك فَعَلى الإنْسانِ أن يَنْظُرَ إلى الطَّبيعةِ كأنَّها أمٌّ أَعْطَتْه مِنْ خَيْرَاتِها الشَّيءَ الكَثِيرَ ، فَتَنفَّسَ من هَوائِها ، وأَكَلَ من خَيْراتِها ، ودَرَجَ على أَرْضِها.. ، لذلك عليه أن لا يَكُونَ عاقّاً لها..!!

وإلا ما مَعْنَى ازْدِيادِ عَدَدِ المَصَانِع التي تَبُثُّ الدُّخانَ ، وتَطْرحُ النِّفايات؟! وما معنى زِيادةِ نِسَبِ التَّلوُّثِ الشُّعاعيِّ والكِيْماوي..؟ وما معنى ما يَفْعَلُه بعضُ النَّاس من رَمْي القاذوراتِ عند الأَنْهارِ والبُحَيْراتِ؟

نَعَمْ.. أَمْ... لا؟!

واتَّجهتِ الآنسةُ (أحلام) نحوَ اللَّوحِ ، وكتبتْ

عليه: ضَعْ كلمةَ (نعم) أو (لا) جانبَ كلِّ فقرةٍ من الفقراتِ التَّاليةِ:

ـ اسْتِنْزافُ خَيْراتِ البيئةِ والاسْتِثْمارُ الجَشِعُ لذلك!

ـ رَمْيُ القُمامةِ والنِّفاياتِ قُربَ الأنهارِ وشَواطئِ البحارِ!

ـ الاعْتِناءُ الكَبيرُ بكلِّ أُمورِ النَّظافةِ والصِّحَّةِ العامَّةِ!

ـ تَكْوِينُ ثَقافةٍ بيئية ، ولكلِّ الأَعْمارِ.

ـ الحَلُّ: عُدْ إلى الطَّبِيعةِ واسْتَلْقِ في أَحْضَانِها!

ـ عَدَمُ الاهْتِمامِ بالتَّشْجِيرِ والمِياه والطُّيورِ والحَيواناتِ..!

ـ لا عَلاقةَ للإنسانِ بالبيئةِ ، بل بَيْنَهما تَنَاقُضٌ وتَضَاربٌ!

وخَتَم (أمجدُ) ذلك بتلاوةِ قولِ اللهِ تعالى:

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

[الأعراف: ٥٦].

وآخرُ دَعْوانا أن الحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ